

حقائق التأويل

[41] أقل من العدد الذي كانوا عليه في الحقيقة، كما يرى الانسان الثلاثة اثنين، وهذا كما يقول القائل لجماعة من أعدائه: إني لارى كثيركم قليلا، وخطبكم يسيرا، على المعنى الذي ذكرناه، ويكون تقليل المسلمين في أعين المشركين الذي ذكره الله تعالى بقوله: (ويقللکم في أعينهم) على هذا الوجه أيضا، كما ذكرناه أولا، ليطمع المشركون فيهم فيقدموا عليهم، ويجعل الله من بعد [الدائرة] (1) على المشركين، والعاقبة للمتقين، وتفترق الرؤيتان على حال القلة والهوان، فيكون ما يراه المسلمون من قلة المشركين سببا لقوة قلوبهم وطريقا للطمع فيهم، ويكون ما يراه المشركون من قلة المسلمين سببا لسرعة الاقدام عليهم، ولئلا يقفوا عنهم هيبة لهم، فيطول التحايز بينهم، فإذا أسرعوا إليهم منح الله المسلمين النصر والاطهار على جماعتهم، وأطفر أولياءه بهم، وأنجز لهم وعده فيهم، فتكون القلة التي ترى بالمسلمين مفضية إلى كثرة وعزة، والقلة التي ترى بالمشركين مفضية إلى ذلة وشقوة. 8 - وقال قاضي القضاة أبو الحسن: (معنى قوله تعالى: (قد كان لكم آية في فئتين التقتا...)) يحتمل أن يراد بذلك حجة ودلالة، ويحتمل أن يراد به: أمانة وعلامة (2) تقوي طنكم فيما خبرتم به من النصر والاطهار (3)، لتأمنوا ما خفتم وقوعه من غلبة الكفار، لكن _____ (1) وفي نسخة: الدائرة. (2) الحجة ما تورث اليقين والقطع، والعلامة: ما تستثير الظن، وتكون الآية عبرة عليهما، لأنها يعبر بها من الجهل إلى العلم أو منه إلى الظن، من العبور وهو النفوذ من احد الجانبين إلى الآخر. (3): الغلبة. _____